International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)

المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب

Vol. (2), No. (8)

الإصدار (2)، العدد (8)

October 2023

"الأدب الرقمي العربي في محكّ الرصد التجنيسي؛ تأملات ومقارنات"

"Arabic Digital Literature at the Touchstone of Genre Monitoring: Reflections and Comparisons"

بلقاسم الجطاري

Belkacem EL Jattari

أستاذ التعليم العالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة

belkacem.eljattari@mbzuh.ac.ae

مستخلص البحث:

تتعرض هذه الورقة البحثية لموضوع الأدب الرقمي العربي من زاوية نظر تجنيسية تبحث في مدى امتلاك نصوصه ما يكفي من الخصائص التي تزكي دعوى اعتباره جنسا مستقلا؛ بمعنى أنها تعود إلى الخوض في سؤال مؤسس، لا يجب القفز عنه تحت أي موجب أو ذريعة.

تقدم الدراسة وجهة نظر في الموضوع، مفادها أن الأدب الرقمي العربي ما يزال في بداية طريق الاستقلال واكتساب الخصوصية والفرادة، وأن الأديب الرقمي العربي ما يزال متمسكا بالنمط الورقي، مشدودا إلى أجناس الأدب المكتوب، بدليل أنه لا يضمّن نصوصه ما يدل على تمثّل عميق لخصائص الأدب الرقمي، واستيعاب كاف لفضاء إنتاجه وتلقيه، وتمييز واضح بين ممكنات التعبير التي يتيحها الحامل الرقمي، بالقياس إلى ما يتيحه الحامل الورقي.

لقد استمر كثير من المبدعين العرب في اجترار تقنيات الكتابة الأدبية الورقية، ونقلها نقلا متعسفا إلى عالم الحاسوب، دون إخضاعها لعمليات تجريب واجتهاد تلائم الحامل الجديد، فكان ما أبدعوه من نصوص مجرد نسخ باهتة من نصوص مكتوبة أو معروضة على الحامل الورقي، حتى وإن أظهرت قلة منهم بعض الجرأة في توليف العناصر الفنية المميزة لأجناس تقليدية مختلفة؛ ثم إن أشد النصوص الرقمية العربية تميزا لم تصل

IJESA, VSRP Publishing, UK

E-ISSN 2976-7237

https://ijesa.vsrp.co.uk

https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

بعد إلى مستوى ما حققه المنجز الأدبي الرقمي الغربي، الذي جعل من الفضاء الرقمي نافذة لابتداع توليفات أدبية غاية في التجديد والطرافة.

أما آخرون فقد استغلوا بعض خصائص التعبير الرقمي، كالمجهولية والتفاعلية، ليخلقوا أشكالا نصية جديدة تكشف عن مساحات كبرى من الجرأة والحرص على تجاوز بعض الخطوط الحمراء، لكن ذلك ظل حبيس قلة من التيمات المطروقة، كما أن كثيرا من نصوص هؤلاء ظل مشوبا ببعض الريب على مستوى ملكيته الفكرية، بسبب اشتداد حدة القرصنة والسرقة الأدبية في خضم الفضاء الرقمي.

الكلمات المفتاحية: الأدب الرقمي، التجنيس، الانتقال، الأدب المكتوب.

Summary of the Research:

This paper deals with the topic of Arabic digital literature from a genre perspective, looking at the extent to which its texts have sufficient characteristics to support its classification as an independent genre, by delving into an established question, which should not be skipped under any reason or pretext.

The study contends that Arabic digital literature is still at the beginning of its path towards independence and the acquisition of a foundation that may be deemed unique. The Arabic digital writer still adheres to the paper style, drawn to the genres of written literature, as his texts do not include evidence of a deep assimilation of the characteristics of literature. It also lacks adequate absorption of its production and reception space and a clear distinction between the forms of expression provided by modern digital publishers, compared to what is provided by traditional paper carriers.

Many Arab innovators continued to ruminate on the techniques of paper-based literary writing, arbitrarily transferring them to the computer world, without subjecting them to processes of experimentation and diligence that fit the new

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

carrier. As a result, what they created were stylistically faded copies of texts, as if written or displayed on paper. This holds true despite the fact that few of them showed some boldness in synthesizing the distinctive artistic elements of different traditional genres, which make the digital space a window for creating very innovative and witty literary combinations.

While many have taken advantage of some of the characteristics of digital expression, such as anonymity and interactivity, to create new textual forms that reveal large areas of daring and eagerness to cross some red lines, they have largely remained imprisoned by traditionally forged themes. Many of their texts also unfortunately remain tainted with some suspicion in regard to their legitimacy at the level of intellectual property, due to the intensification of piracy and plagiarism in the midst of the digital space.

Keywords: Digital Literature, Genre, Transmission, Written Literature.

1. مقدمة

1.1 توطئة

عرف التاريخ أحداثا طبعت مسيرة الإنسان ودفعته إلى اتخاذ مسالك طارئة في الفعل والتفاعل مع عناصر البيئة المختلفة، كما شهدت الحياة البشرية اكتشافات واختراعات يعود لها الفضل في تحويل مسار الشعوب والمجتمعات، وتغيير أنماط السلوك والتفكير، إلى حد يجوز فيه القول إن تاريخ الإنسان هو تاريخ طفرات أكثر منه تاريخ سيرورات، بدليل سعة مساحة المستجدات الثقافية والعلمية والتاريخية التي كانت تنشأ في ظل هذه الانعطافات الحاسمة في غضون مدد زمنية ضيقة، قياسا مع ضيق التحولات التي كانت تجري على امتداد فترات زمنية مديدة.

ولعل أكثر ما ينصرف إليه الذهن، بمناسبة هذا الإحالة إلى التاريخ، هو تلكم الاكتشافات التقنية والمهارية، من قبيل النار، والكتابة، والعجلة، والمطبعة، والمحرك الانفجاري، والمسدس وغيرها؛ فقد أدت هذه

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

الاكتشافات إلى خلق وقائع وتوازنات فردية ومجتمعية جديدة، أولاها المؤرخون عناية شديدة، واتبعوا خطوط انتقالاتها وتأثيراتها على الشعوب المختلفة، حينا في إطار تلاقح ثقافي يجري بفعل الاحتكاك السلمي، وحينا في إطار الصراع والتنافس على خيرات البيئة والبحث عن توسيع المجال الحيوي.

والثابت في هذا المجال أيضا أن أكثر ما طبع العصر الحديث، من القفزات الكبرى، هو الثورة الرقمية، التي زلزلت أنظمة الاتصال والتواصل البشري، سواء من جهة السرعة أو الكثافة أو من زاوية ضمان رصد التلقي والأثر والتفاعل؛ فقد مكنت الثورة المذكورة الإنسان من امتلاك حامل جديد قادر على حفظ المعارف وتخزين الوقائع، كما وضعت تحت إمرته حلولا ومخارج لكثير من المآزق التي كان يجد نفسه إزاءها لأسباب وعوامل طبيعية وثقافية مختلفة.

ولأن التأثير الرقمي انسيابي في أساسه، سيّال من حيث جوهره وتعريفه، فقد استطاع أن يمس كل مجالات التدخل البشري، وأن يؤثر في كافة مجالات الإنتاج والفعل الإنساني، الموصولين إلى العمران والاقتصاد والسياسة وغيرها، بل إن مجال الأدب لم يسلم من تأثيره، إذ بادر المشتغلون بفنون الإبداع الأدبي إلى استغلال ما يتيحه الحامل الرقمي، لتحقيق التواصل مع القراء وشبكات التلقي المختلفة، كما قام آخرون بتجريب الدعامات الرقمية وتركيب كثير من عناصرها بغية تجديد المكونات البانية للأجناس الأدبية، وخلق أجناس أخرى جديدة، وذلك على قاعدة استغلال مساحة التعبير والتواصل العديدة التي صارت متاحة بفعل الثورة الرقمية وتطبيقاتها المختلفة.

يتناول هذا البحث موضوع الأدب الرقمي[1] العربي من خلال تأمل سريع في خصائص منجزه، وذلك من زاوية مدى امتلاكه هوية تجنيسية متمايزة، وقدرا من الخصوصية والأصالة، وما يتيحه من نوافذ لكسر الحواجز الموضوعاتية، في مقابل ما يترتب عن ذلك من إكراهات يفرضها استخدام الحامل الرقمي.

2.1 أهمية البحث وأهدافه

تكمن أهمية البحث في تطرقه لموضوع شديد الصلة بواقع الإبداع الأدبي الراهن، وخوضه في سؤال مشدود إلى ما يعرفه عالم اليوم من تحولات ثقافية كبرى ناتجة عن اشتداد حدة الثورة الرقمية، بمعنى أن قيمته

[1] لسنا في محلّ يستوجب تفصيل القول في دلالة الأدب الرقمي، لذا سنكتفي بإيراد تعريف مركز يعرضه فيليب بوطز (Philippe Bootz)، يقول فيه: "نسمي أدبا رقميا كل شكل سردي أو شعري يستعمل الجهاز المعلوماتي وسيطا، ويوظّف واحدة أو أكثر من خصائص هذا الوسيط." - بوطز فيليب، ما الأدب الرقمي؟، تر محمد أسليم، مجلة علامات، المغرب، ع. 35، 2011، ص 103.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

قائمة في ارتباطه بقضية نقدية نعاين تجلياتها، ونتابع أوجهها فيما نطالعه عبر منصات الشبكة العنكبوتية من نصوص وإبداعات رقمية.

كما يستمد الموضوع أهميته من ارتباطه بمسارات الأدب المستقبلية، وسعيه إلى توصيف بعض خصائص المنجز الأدبي الرقمي العربي، بحيث يسهم في كشف اللثام عما يمكن أن يفضي إليه الركون إلى تكريس الواقع القائم، وما يمكن فعله حال توفرت الإرادة الثقافية المؤسسية الكفيلة بتجويد مستوى الأدب الرقمي في العالم العربي.

3.1 إشكالية البحث

تحاول الدراسة أن تجيب عن سؤال محدد هو: ما مدى تمثل الأديب العربي لخصائص الأدب الرقمي في ما يبصم عليه من نصوص أدبية؟ ومن ثم فإن المسعى الرئيس الذي يؤطر هذا البحث تجنيسي في مبدئه ومنتهاه، وهو تتبع مدى صدقية هذا الأديب، برفعه شعار الخروج من شرنقة الأدب المكتوب، ذي القيود والسمات الخاصة، والارتماء في حضن فضاء أدبي جديد متميز بمواضيعه وقضاياه، مستقل بمعماره، فريد بحامله.

4.1 مصطلحات البحث

ينتمي البحث إلى فضاء النقد التطبيقي الموصول إلى نظرية الأجناس الأدبية، من حيث تأصيلها للتمايزات الفنية القائمة بين الأجناس المختلفة، لذا فإن عدة البحث المصطلحية مأخوذة من صميم هذه النظرية، وتحديدا من معين التصنيف الكلاسيكي الذي يقيم فرقا بين ثلاث فضاءات تعبيرية، هي: الشفهي، والمكتوب، والرقمي.

5.1 منهجية البحث

انسجاما مع طبيعة الموضوع المدروس، كان لزاما اقتفاء أثر مقاربة تجنيسية تقيس الفروق القائمة بين فضاءات التعبير الأدبي الثلاثة، علاوة على مقاربة مقارنة (تقابلية) تبحث عن القرائن الدالة على صحة اتصاف المنجز الرقمي العربي بصفات الجنس المميزة، وتجري موازنة بين موارد القوة التي يتيحها هذا الأدب وموارد الضعف التي تتهدد وجوده وتضعف قيمته.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

2. من الكتابي إلى الرقمي؛ مسافة الانتقال

يثير موضوع انتقال الأدب العربي من الحامل الكتابي إلى الحامل الرقمي جملة من القضايا والمشاكل النظرية والمنهجية، بل إن مسألة التحول هذه تدفع الباحث إلى استدعاء انتقال أسبق، هو الانتقال من الشفهي إلى الكتابي، لا بهدف الاستعراض التاريخي المجاني لتفاصيل هذا الانتقال وتأثيراته على جوهر الإبداع الأدبي ومقوماته الفنية المختلفة، ولكن من أجل إثارة الانتباه إلى قضية في منتهى الأهمية، هي عدم جواز الحديث عن حصول انتقال فعلي حاسم ونهائي في تاريخ الأدب العربي، بين ضفتين متباعدتين، هما: الشفاهية والكتابية، واستبدالها بالقول إن الأدب العربي عرف انتقالا تدريجيا نسبيا بين الضفتين، ومعنى ذلك أن عددا من خصائص الشفاهية ظلت لصيقة به لقرون طويلة، رغم طول تجربة الكتابة في الحضارة العربية.[2]

إن المقصود بهذا القول أن الشفاهية، من حيث كونها بنيات لسانية وخصائص في التفكير، لم تمت بدخول العربية إلى نادي اللغات الكتابية، والدليل على ذلك نصادفه في كثير من نصوص العصر الوسيط والمعاصر، التي يحرص فيها الأديب على جعل مكتوبه إيقاعيا أقصى ما يستطيع، رابطا جمله وعباراته بأدوات العطف البسيطة، ميالا إلى الأسلوب الإطنابي، وتلكم خصائص تميز الخطاب الشفهي، المحكوم بسياق تواصلي يجمع المتكلم بمخاطبه، بخلاف النص الكتابي، الذي يفترض وجود مسافة مكانية وزمانية بين لحظة الإبداع، ولحظة التلقي.

يترتب عن هذا المنطق أن نطرح السؤال الآتي: هل يعتبر توظيف الحامل الرقمي علامة على حصول انتقال بين جنسين إبداعيين متمايزين، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون استبدالا لحامل بآخر، دون أن يكون لذلك أي تأثير على هوية النص الإبداعي الرقمي؟

لا شك أن أول ما يجب أن يثار في هذا الصدد هو تعدد الحوامل التي يتخذها النص الأدبي الرقمي مقارنة مع النص الكتابي، فهو يمزج بين الكتابة والصورة والصوت، ويراهن على التفاعل، بل إن أسناد بعض نصوصه توفر خصائص تفاعلية تضمن تتبع رجع الصدى وقياس الانطباعات، بخلاف النص الكتابي، الذي لا يتيح ذلك.

[2] "تتميز الشفاهة بالحيوية وإمكان اللجوء إلى وسائل فوق لغوية للتأثير، كالتلوين الصوتي من خلال النبر والتنغيم، ومطّ الكلام واقتضابه، وما يصاحب الحديث من حركات الوجه واليدين والعينين، وجميعها أفعال كلامية. لها دورها الحاسم في تحديد المعنى المنطوق والمسموع."- علي نبيل، **العرب وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع. 184، أبريل 1994، ص 277.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

وعطفا على ما سبق ذكره، يمكن القول إن النص الأدبي الرقمي يستوعب أشكالا من النصوص المختلفة، لا بعرضها على نحو محايد، فمثل ذلك كان متاحا منذ اختراع المذياع والتلفاز، بل بعرضها على نحو إبداعي قائم على كثير من عمليات الخلق والتركيب المختلفة. ولعل أهم خصائص الأدب الرقمي، التي تكشف عن أصالته التجنيسية، وتمايزه عن الأدب الكتابي، هي خاصية "اللاخطية" التي تفضي إلى تشكيل نص مترابط، يقول عنه سعيد يقطين: "النص المترابط نص يتحقق من خلال الحاسوب وأهم مميزاته أنّه غير خطي، لأنّه يتكون من العقد والشذرات التي يتصل بعضها ببعض بواسطة روابط مرئية، ويسمح هذا النص بالانتقال من معلومة إلى أخرى عن طريق تنشيط الروابط، التي بواسطتها نتجاوز البعد الخطي للقراءة"[3].

ثم إن النص الأدبي الرقمي متصف بصفة الدينامية وعدم الثبات، بحيث يختلف عن النص الورقي "في كونه قابلا للتعديل والتطوير وفقا لتطور البرامج التقنية التي يستخدمها، ووفقا للنقد الموجه إليها. أما النص المكتوب، فغالبا ما يحظى بشيء من الثبات في اللون والخط والظل".[4] هذا، ومن ميزات النص الرقمي امتلاك خاصية التشعب، على نحو يستطيع فيه المتلقي أن يربط بين أي موضع وآخر في داخل النص أو الوثيقة،[5] فالنص المتشعب مزود بوصلات تسعف في تنشيط عملية القراءة، والانتقال إلى الشذرات النصية المختلفة، التي يمكن الوصول إليها من خلال النقر على الفأرة، توالي عمليات الانتقال بين النصوص من شأنها أن تحول القراءة إلى متاهة، تجعل من المتعذر على القارئ ضبط المسار بين نقطة الانتقال ونقطة النهاية، فهو يشعر بأنه فقد الاتجاه ولا يعرف أين هو".[6]

إنها مجموع صفات تجعل من النص الأدبي الرقمي وجها تعبيريا جديدا يتيح إجراء عمليات تأويلية مركبة تختلف عن تلك التي يتيحها النص الكتابي، حتى أن المتأمل في ما عرضناه من سمات يلاحظ أن النص الرقمي قد استعاد صفة التفاعلية[7] التي تميز النص الشفاهي، والتي فقدها النص الكتابي، لكن الأمر لا يتعلق باستعادة

---

[3] يقطين سعيد، **من النص إلى النص المترابط**، -مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب-لبنان ط1، 2005 ص 264-265

[4] أحمد ملجم إبراهيم، **الرقمية وتحولات الكتابة**؛ لنظرية والتطبيق، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2015، ص29.

[5] علي نبيل، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**؛ رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع. 265، يناير، 2001، ص 101.

[6] المريني محمد، **النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي**، كتاب الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، دط، مارس، 2015، ص 54.

[7] "تعد التفاعلية الميزة الأساسية التي تميز الأدب الرقمي عن باقي الآداب الأخرى، ويعني هذا أن الأدب الرقمي يسمح بالعلاقات التفاعلية بين المبدع والقارئ مباسرة عبر وسيط النص الإعلامي."- حمداوي جميل، **الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية)**، مكتبة المثقف، ط. 1، 2016، ص. 18

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

على سبيل الاجترار، بل باستعادة إبداعية؛ لأن التفاعل في سياق الإبداع الأدبي الرقمي أضحى تفاعلا مفتوحا على إمكانيات جديدة، من قبيل: التفاعل الجماعي، والتفاعل التراكمي، وغيرهما من صنوف التفاعل التي تسمح بالمشاركة في بناء النصوص وهدم أخرى.

بيد أن الملاحظ، في هذا الصدد أن النقاد العرب قلما تنبهوا إلى المسافة التي أوجدتها صفات هذا الأدب وخصائصه، وقلما استوعبوا أن "الأدب الرقمي يطرح العديد من الأسئلة والمعضلات غير المعهودة في الأدب التقليدي، ما يقتضي إعادة النظر في أدوات تحليل النص الأدبي ومناهجه والتفكير في مستقبل الأدب جراء لقائه بالتكنولوجيا. ففيما عدا استثناءات تعدُّ على رؤوس الأصابع، كلّ نقاد الأدب الرقمي العربي ينحدرون من الورق، ويحلّلون النصوص الرقمية وينظرون لها بمنظور الاستمرارية، معتبرين الإبداعات الجديدة امتداداً للقديمة، إما بتصنيف الأدب إلى حقب ثلاثة، هي الشفهية، والكتابة والرقمية، و/أو بالقول إن الأجناس الأدبية لا تموت، بل تواصل حياتها داخل الأشكال الأدبية الجديدة، والحال أنّ الأمر أعمق من ذلك بكثير، إذ يتعلّق الأمر بانصهار اللّغة في التكنولوجيا على نحو لم يعد ممكناً معه تحليل المكوّن اللغوي للنص دون مكونه المعلوماتي، كما يتعلّق باحتمال تلاشي الأدب في التكنولوجيا، وبالتشكيك في عبقرية المؤلّف ونبوغه، وفي جدوى الاحتفاظ بالآثار الأدبية في مكتبات على نحو ما نقوم به منذ نشأة الكتابة، وما إلى ذلك[8].

3. الأدب الرقمي العربي بين الاتباع والابتداع

لم يدخل العربُ كلّياً إلى العصر الرقمي، لأنّ الرقمية لم تلج بعد إلى كافة مناحي الحياة، وفي مقدمتها المدرسة باعتبارها أحد أعمدة التنشئة الاجتماعية الهامة، إذ لم يتم ربط المؤسسة التعليمية بشبكة الإنترنت، واعتماد الحوامل الرقمية والسبورة الذكية في العملية التعليمية التعلُّمية، كما لم يتم ترقية المدن الحالية إلى مدن ذكية.[9]

ومن الثابت أن الأديب العربي قد تردد كثيرا في اللحاق بركب الأدب الرقمي العالمي، وذلك لأسباب عديدة، على رأسها تفشي أمية الحاسوب، والخوف من الوافد الجديد، والتعصب للقلم والورقة، علاوة على النظر إلى التجديد بوصفه تهديدا للتراث وتركة الأسلاف.[10] وهكذا فإن دخول الرواية العربية إلى نادي الأدب الرقمي،

[8] أسليم محمد، وضعية الأدب الرقمي في العالم العربي (https://www.aslim.org/?p=2774، شوهد يوم 2023/06/22).
[9] نفسه.
[10] إيمان يونس، الأدب الرقمي العربي، الواقع، التحديات والتطلعات (www. Diwanalarab.com شوهد يوم 2023/06/15)

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

مثلا، لم يحصل سوى سنة 2001، بفضل الروائي الأردني محمد السناجلة، وروايته ظلال الواحد، إذ يعد الرجل أول روائي عربي يستخدم تقنية النص المتفرع وخاصية الروابط التي يتيحها لكتابة رواية تفاعلية، تعتمد عدم الخطية في سيرورة أحداثها، وبنائها القصصي.[11]

ومن القضايا المهمة التي يثيرها موضوع الأدب الرقمي العربي نجد مسألة البحث في مستوى تلاؤمه مع البنيات الثقافية العربية، ومدى استجابته لحاجات المجتمع العربي في مضمار الإبداع الأدبي. لقد كان الشعر العربي القديم تعبيرا عن حاجة جماعية قبل أن يكون تجليا من تجليات التعبير الفردي، مثلما شكلت الرواية الغربية منفذا أدبيا يصور حاجيات الطبقة البورجوازية وهواجسها وأسئلتها الوجودية المختلفة. لذا يحق أن نتساءل عن مدى انسحاب هذا الحكم على الأدب الرقمي العربي، ومدى وعي الأديب العربي بقاعدة التلاؤم الجارية بين الأجناس وبيئاتها، ومدى إدراكه أن تشكل الذائقة وقفٌ على وجود علاقة جدلية تصل الأدب ببيئته الحاضنة.

لا خلاف في القول إن المشروع الحداثي الغربي قد شكل جوابا عن سؤال وحلا لمعضلة، مثلما شكل الأدب الرقمي الغربي وجها من أوجه التفاعل مع مستجدات التقنية الطارئة، في سياق شهد ارتقاء نظم المعلومات على جبهات عديدة، وزيادة في سرعة تنفيذ العمليات الحسابية والمنطقية، علاوة على زيادة في سرعة تخزين الوسائط الإلكترونية، ومن زيادة كفاءة ملحقات الطباعة وشاشات العرض ومولدات الصور، ثم زيادة إمكانات لغات البرمجة الراقية التي تقترب رويدا رويدا من مرونة اللغات الإنسانية وقدرتها الفائقة على التعبير.[12]

ليس هذا فحسب، لقد شكل ظهور الأدب الرقمي جوابا عن أسئلة مؤرقة، وردا على كثير من السيرورات التي يساق إليها الإنسان الغربي في ظل الثورة السيبرانية التي لم يجد سبيلا إلى تجنبها أو تعطيلها أو تأجيل لحظتها التاريخية، بيد أن هذا الكلام لا يعني بأي حال أن التلازم المذكور واقع مجرد من أحكام القيمة، وأن الأمور تتخذ منحى رومانسيا لا تنبثق في خضمه مخاطر وأضرار، والدليل ما يأتي على أفواه الدارسين الذين يتتبعون توظيف الرقميات في الحياة العامة، إذ يضعون الأصبع على ما يمكن اعتباره مدا رقميا "يخطط بعضُ متطرفيه لتجاوز الإنسان الحالي نفسه بتعديله وتطويره بيولوجيا في أفق خلق نوع بشري جديد. وتمدُّ الرقمية هذا النوع من المشاريع بأداة فعالة للتحقيق، مما يجعل مثل هذه التطلعات تبدو أكبر من مجرد طوباويات كما

[11] البريكي فاطمة، **مدخل إلى الأدب التفاعلي**، المركز الثقافي العربي، المغرب -لبنان، ط. 1، 2006، ص 122.
[12] علي نبيل، **العرب وعصر المعلومات**، مرجع سابق، ص 76

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

يظن البعض... وباختصار، كل شيء يحمل على الاعتقاد بأنَّ المثقفين بالمعنى المتعارف عليه قد تجاوزهم الركبُ وأصبحوا «خارج دائرة اللعب»، إن صحَّ التعبير."[13]

وليس العالم العربي بمنأى عن هذه المخاطر والمضار، ولا محميا من ظاهرة تآكل دور المثقف التقليدي، المكتفي بالأسناد التقليدية (الشفهية والكتابية)، فقد أدت العولمة الثقافية الجارية في عالم اليوم إلى إشاعة الكثير من الأفكار والقيم، وتنميط العديد من التصورات والتمثلات والصور، علاوة على تعميم مستويات الذوق والتلقي.

لقد خرجت المجتمعات العربية من المحضن التقليدي الذي عاشت فيه لقرون، وشرعت تدق باب التجديد والتحديث شيئا فشيئا، لذا كان من الطبيعي أن ينخرط بعض مثقفيها في قضايا هذا الانتقال والتحول، وأن يطرحوا أسئلة الغائيات التي تؤطر الوجود البشري، بإيعاز من خبراتها الحياتية، وجماع معرفتها الدينية والفلسفية، وأن يقفوا في وجه مساعي نزع القدسية عن الإنسان، معتمدين في ذلك السند الرقمي وسيلة للتعبير الأدبي وغير الأدبي.

بيد أن الملاحظ في هذا السياق أن جرأة الأديب العربي قلما تتجاوز حدودا دنيا أوجدها واقع تقليد الإنتاج الغربي في بداياته، فأدباؤنا الرقميون العرب يقتصرون على إنتاج نصوص متحركة ومتعددة الوسائط ومحكيات تشعبية تخييلية، في حين تتجاوز التجارب الغربية ذلك إلى التوليف وتوليد النصوص بالبرمجة وتحقيق درجة عالية من التفاعل، تبلغ أحيانا حد تمكين القارئ من التدخل في النص المعروض للقراءة على نحو يُفضي إلى إعادة توزيع علاماته في الشاشة استجابة لتلك التدخلات، مما يجعل النص، في هذه الحالة، احتمالا أكثر منه عملا مكتملا، كما يفضي التدخل الآنف إلى اندراج كتابات القارئ في العمل نفسه، بدون رقابة من المؤلف. ففي نص «كتاب الموتى» كزافيي مالبريل (Xavier Malbreil)، على سبيل المثال، يُطالَبُ المتلقي بالإجابة عن مجموعة من الأسئلة لكي يتمكن من بدء القراءة أو مواصلتها. وبعد إجابته عنها، وتقدمه في تلقي النص يجد بعض أجوبته قد أصبحت جزءا لا يتجزأ مما تعرضه الشاشة أمامه للقراءة، بمعنى أن

[13] محمد أسليم، وضعية الأدب الرقمي في العالم العربي (https://www.aslim.org/?p=2774، شوهد يوم 2023/06/22).

أجوبته تصير مقاطع من النص الناتج عن تفاعله مع العمل[14]، وهي مقاطع لن تظهر لقارئ آخر للنص نفسه، سواء أكانت قراءة هذا الأخير متزامنة مع قراءة القارئ الأول أو لاحقة لها[15].

لا شك أن واقع التأخر في مجاراة السيل الرقمي هو الذي دفع كثيرا من الأدباء والنقاد إلى التوقف عن انتظار ما ستسفر عنه التجربة الرقمية عربيا، وتتبع المخاض الصعب الذي تمرّ به؛ نظرا لأنه لا يمكن إلزام أحد بالكتابة؛ لا سيما وأنها منطقة خاصة، مؤهلاتها ليست متاحة للجميع. صحيح أن البشائر تشير إلى تمرّد إبداعيّ وتجديد نقديّ، لكن كيف ينشط النقد الرقمي وليس لدينا نصوص رقمية كافية؟ ولماذا يرتفع سقف توقّعات المتحمسين عربيا ما دام الجهاز المفاهيمي لنظرية الأدب الرقمي لم تتضح معالمه، ولم تثبت تعريفاته، ولم يتحمس الوعي العام لأهميته، ولم ينخرط المبدعون في أنواعه؟! إن الإبداع الرقمي ما زال حذرا حتى لا يصطدم باشتراطات التلقّي، وإذا سعى إلى الصدام كان ذلك محسوبا عليه بدرجة ما.[16]

يمكن القول بإيجاز أن التجربة الإبداعية الرقمية لم تنضج بدرجة جاذبة لكبار المبدعين والنقاد، والأسباب واضحة ومقبولة نسبيا؛ حيث عدم تراكم النصوص الرقمية، والأمية الإلكترونية، وصعوبة التخلص من الالتصاق الحميمي بالإرث الورقي، وعدم وضوح الرؤية النقدية للأدب الرقمي، أو أن الإبداع الرقمي يسبق دائما بخطوة، في الوقت الذي يبحث فيه النقد الرقمي عن أدواته أو يعجز عن الملاحقة بشكل جيد.[17]

4. الانفلات من الرقابة في مقابل إكراهات موازية

يسجل متتبع الإنتاج الرقمي وجود نزوع ظاهر نحو تكسير القيود الاجتماعية وتجاوز ضوابط التعبير ومحاذيره، وذلك بسبب ما يوفره السند الرقمي من إمكانيات للتواري بفعل خياري المجهولية والجماعية، وما يحيط بالتعبير الرقمي من صعاب في تتبع الخروقات وإثبات المسؤوليات.

---

[14] المقصود هنا أن يتحول القارئ إلى كاتب مشارك Co-auteur، لا يقتصر دوره على النقر وتنشيط الروابط ومشاهدة المعنى، كأي متفرج من الخارج، بل يساهم إلى جانب الكاتب في بناء هذا المعنى من خلال اختياراته الحرة وتجميعه للشذرات وفق نسقه الخاص متحولا إلى كاتب من الدرجة الثانية؛ لاشتغاله على اللغة محايلا وملاعبا إياها. وصولا إلى ما تخبئه بين طياتها من معان ثاوية. ثم بعد عملية البحث المضنية وإيجاده للمعنى يلجأ إلى اللغة من جديد كمحاولة منه لتسميته والتعبير عنه بالكلمات."- خمار لبيبة، **شعرية النص التفاعلي؛ آليات السرد وسحر القراءة**، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2014، ص 196-195

[15] محمد أسليم، وضعية الأدب الرقمي في العالم العربي (https://www.aslim.org/?p=2774، شوهد يوم 2023/06/22).

[16] وصفي ياسين، المنجز الرقمي العربي؛ مراجعة وتقويم.
(http://www.arab-ewriters.com/articlesDetiles.php?topicId=115 شوهد يوم 2023/06/22)

[17] نفسه.

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

وإذا كان ثابتا أن هامش الانفلات من أصناف الرقابات المختلفة متوفر في مجال الأدب الرقمي العربي أكثر مما هو متوفر في الأدب الورقي، فإن الثابت أيضا أن نصوص الأدب الرقمي أكثر عرضة للمحو والضياع قياسا بنظيرتها الكتابية، سواء بفعل نيات وأفعال قصدية محكومة باعتبارات مصلحية معينة، أو بفعل خطر الاختراقات والفيروسات التي تهدد كل إنتاج رقمي مهما اشتدت درجة الحرص والسلامة. "ولعل هاجس التعرض للاختراق هو ما جعل صاحب مجلة «اتحاد كتاب الأنترنت المغاربة» يختار تسكينا مجانيا عند إحدى الشركات التي تقدم هذه الخدمة، بدل أن يشتري اسم نطاق ويكتري مساحة استضافة. وإذا كان هذا النوع من التسكين يضمن الحماية من الاختراق، لأنَّ الشركات توفر حماية قوية لخوادمها، فإنه في المقابل يعرض المواد المنشورة فيها لخطر الاختفاء في أية لحظة إذا ما ارتأت الشركة إلغاء تلك الخدمة. فقد حذفت شركة ياهو، على سبيل المثال، جميع مدونات موقع «مكتوب»، وكانت تعَدُّ بالآلاف، بعد أن اشترته من صاحبه الأردني. في حالة ساحات ميدوزا والأمثلة التي ذكرتُ، تأتي القرصنة من جهتين: من شباب معلوماتيين عرب يتلذذون بإظهار مهاراتهم المعلوماتية عبر الاختراق، والرسائل التي يتركونها بعد الاختراق لا تدع مجالا للشك في ذلك، كما تأتي من متدينين إسلاميين يكنون العداء للثقافة والمثقفين باعتبارهم حداثيين وعلمانيين وما إلى ذلك، وهنا أيضا تترك رسائل معادية للعلمانية والثقافة الحداثية. وبالجملة، لا تعاني من الاختراق إلا المواقع التي لا تتوفر على فريق يؤمن حمايتها، وهو ما تعذر في حالة منتديات ميدوزا لأسباب لا يتسع المجال لذكرها."[18]

يبدو، إذا، أن كثيرا من نصوص الأدب الرقمي العربي تعيش حالة من حالات الوجود الهش، بسبب المخاطر المذكورة، ولعل ما يزيد من حدتها ندرة الجهات والمؤسسات العربية الرسمية المنخرطة في رهان حماية هذا الإبداع، حينا بسبب عدم اقتناعها بجدية الاتجاه الأدبي الرقمي في عموميته، وحينا بسبب جهلها بوجوده وحاجته إلى قدر من الحماية والعناية.

ومن الإكراهات الأخرى التي تتهدد الإنتاج الأدبي الرقمي نذكر أيضا إكراه السرقة الأدبية، إذ يسهل تلمس الجرأة الكبيرة التي تحيط بعملية الإبداع الرقمي العربي، بسبب السهولة الشديدة التي يجدها الأدباء المزيفون في انتحال نصوص وإبداعات غيرهم ونسبتها إلى أنفسهم، والناتج عن عدم وضوح المساطر المتعلقة بقانون الملكية الفكرية في المجال الإلكتروني، وصعوبة الإثبات جرم السرقة، وارتباط ذلك بعمليات القرصنة

[18] محمد أسليم، وضعية الأدب الرقمي في العالم العربي (https://www.aslim.org/?p=2774، شوهد يوم 2023/06/22).

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

النشيطة في عالم الشبكة العنكبوتية. وقد أدى ذلك إلى تشكل منجز رقمي تتفاوت قيمته الفنية، إذ يسجل الدارس وجود نصوص أدبية قيمة ومثيرة للاهتمام، مقابل أخرى تافهة وسطحية، ليست سوى تلحيما هزيلا لنصوص ورقية أو رقمية أو تركيبا ممسوخا لإبداعات الغير.

5. خاتمة:

تناولنا في هذه الورقة البحثية موضوع الأدب الرقمي العربي من خلال تأمل تجنيسي غايته البحث في مدى امتلاك نصوصه الخصائص الكافية التي تسمح للنقاد باعتباره جنسا أدبيا أو تعبيريا مستقلا، وذلك عبر مقاربة تطبيقية تستقي بعض مقولاتها من نظرية الأدب.

وقد انتهت الدراسة إلى أن الأدب الرقمي العربي ما يزال في بداية طريق الاستقلال واكتساب الخصوصية والفرادة، وأن الأديب الرقمي العربي ما يزال عاجزا عن الخروج من شرنقة النمط الورقي، مشدودا إلى أجناس الأدب المكتوب، بدليل عجزه عن تضمين نصوصه ما يدل على تمثّل عميق لخصائص الأدب الرقمي، كما تبلور في العالم الغربي، وعدم تجرئه على ابتداع أشكال جديدة للتعبير على غير المنوال الغربي.

لقد استمر كثير من المبدعين العرب في إعادة إنتاج تقنيات الكتابة الأدبية الورقية، ونقلها نقلا حرفيا إلى عالم الحاسوب، دون إخضاعها لعمليات تجريب واجتهاد تلائم الحامل الجديد، فكان ما أبدعوه من نصوص مجرد نسخ باهتة من نصوص مكتوبة أو معروضة على الحامل الورقي، حتى وإن أظهرت قلة من هؤلاء بعض الجرأة في توليف العناصر الفنية المميزة لأجناس تقليدية مختلفة.

أما الذين استغلوا بعض خصائص التعبير الرقمي، كالمجهولية والتفاعلية، ليخلقوا أشكالا نصية جديدة تكشف عن مساحات كبرى من الجرأة والحرص على تجاوز بعض الخطوط الحمراء، فقد ظلوا حبيسي قلة من التيمات المطروقة، كما أن كثيرا من نصوصهم ظلت مشوبة بالريب على مستوى ملكيتها الفكرية، بسبب ما يحيط بها من شبهتي القرصنة والسرقة الأدبية، الذائعتين في الفضاء الرقمي.

6. توصيات:

يعيش الأدب الرقمي العربي وضعية من الضعف على مستوى معماره وفنياته وموضوعاته، وحالة من التيه على مستوى غاياته ومراميه، ولتجاوز هذا الوضع نوصي بـ:

- إعادة النظر في النظرة التقديسية إلى الأدب المكتوب، وتجاوز التصور التراثاني الذي يتباكى خوفا على فناء

IJESA, VSRP Publishing, UK
https://ijesa.vsrp.co.uk
E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

أجناسه؛ لأنها نظرة قاصرة عن الإحاطة بمجريات التاريخ، وعاجزة عن استيعاب مقدار التحول الجاري في جسد المجتمعات العربية وغيرها؛

- النظر إلى الأدب الرقمي بوصفه فضاء تعبيريا جديدا فرض نفسه بقوة الواقع، لا ينافس غيره من الفضاءات التقليدية، بل يكملها ويستوعب قدرا من الفراغات التي عجزت عن ملئها؛
- لزوم تطوير أداء مؤسسات الرقابة الإلكترونية، بما يسمح بمقاومة خطر القرصنة والوقوف في وجه نقيصة السرقة الفكرية؛
- إدماج الأدب الرقمي في المنهاج الدراسي الخاص بالمدرسة العربية؛ فهو السبيل إلى تمهير الأطفال وإكسابهم ما يكفي من الكفايات ذات الصلة بإنتاج نصوص هذا الأدب، وتأويلها، وفهم مختلف الآليات التفاعلية التي تشكل هويتها الانسيابية السيالة.

قائمة المراجع:

أ- بيبليوغرافيا

- أحمد ملجم إبراهيم، الرقمية وتحولات الكتابة؛ لنظرية والتطبيق، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2015.
- البريكي فاطمة، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب- لبنان، ط. 1، 2006.
- بوطز فيليب، "ما الأدب الرقمي؟"، تر محمد أسليم، مجلة علامات، المغرب، ع. 35، 2011.
- حمداوي جميل، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية)، مكتبة المثقف، ط. 1، 2016.
- خمار لبيبة، شعرية النص التفاعلي؛ آليات السرد وسحر القراءة، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2014.
- علي نبيل، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، ع. 184، الكويت، أبريل 1994.
- ـــــ، الثقافة العربية وعصر المعلومات؛ رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة، ع. 265، الكويت، يناير، 2001.
- المريني محمد، النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي، كتاب الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، دط، مارس، 2015.

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2

- يقطين سعيد، من النص إلى النص المترابط، -مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب- لبنان ط 1، 2005.

ب- ويبوغرافيا:

- أسليم محمد، "وضعية الأدب الرقمي في العالم العربي"، (https://www.aslim.org/?p=2774، شوهد يوم 2023/06/22).
- إيمان يونس، "الأدب الرقمي العربي، الواقع، التحديات والتطلعات"، (www. Diwanalarab.com شوهد يوم 2023/06/15)
- وصفي ياسين، "المنجز الرقمي العربي؛ مراجعة وتقويم"، (http://www.arab-ewriters.com/articlesDetiles.php?topicId=115 شوهد يوم 2023/06/22)

E-ISSN 2976-7237
https://doi.org/10.59992/IJESA.2023.v2n8p2